سكون حالة
للكاتب أنس بن عبد الرحمن .

العنوان:

حالة سكون

تأليف: أنس بن عبد الرحمن

المقدمة:

إن كنا سنقيم وزنا لأنفسنا فما هو الوزن الذي سنقيمه...؟ هذا إن كان لنا وزن كما نعتقد...

مرهوبين من كل شيء حولنا نهرع منه خشية ألا يصيبنا، رغم أن القدر بنفسه يجعلنا نسير كما يريد، لم نختر شيء بقناعة من ذاتنا، نحن نسير كما يريد هو، هو فقط من يختار كيف سنفعل ذلك، وإن بدت في نفوسنا بذرة خير رزقنا خيرا ظنناه في أنفسنا شرا، فاعف عنا "يالله".

هو يشعر بوحدة لا يشعر بها أحد غيره، كل شيء متعلق به يبدو كأنه مُرْكِس عليه، لا يدري أين سيجد ملجأ يحويه، يبدو تائها بين روحه غير المرئية...

إن مايدفعني لكتابة هذه الأشياء المحزنة وغير إجابية للقارئ ليس بسبب أنني مثقف، أنا متأكد من نفسي أنني أكتب بهذه الطريقة لأنني أحس وأشعر بأشياء مختلفة عن الكل ليس لأنني مميز أو أفضل من الآخرين، إلا وأنني متعب ومرهق من خطايا السنين، أرغمت على تحمل بعض منها لكنني أعلم جيدا ما أنا إلا بشري تافه سينقضي أجلي قريبا وأغادر هذه الحياة البائسة، كنت مشكوكا في ذاتي

أنني بلا أمل أو ذو قلب مظلم، ظننت أنني قد أغير نفسي إلى شخص أفضل، لكنني لم أنجح في ذلك، طوال السنين الماضية أرى البشر يفعلون أشياء كان يتوجب علي فعلها، لكن ظللت ساكنا ميتا في مكاني لم أحاول ذلك، فقط مايبدو لي من ظاهر هذه الأشياء تافهة كالحب والعز والكبرياء، كان كل شيء سرابا، حتى من الليل الطويل أصبح يمر بسرعة، وأقول يانفسي مكان ما أرتاح يجعلني أشعر بنشوة السكون والهدوء وعدم الضجيج، لكن الأمر كان كذلك، لم يكن الضجيج في الأشياء الموجودة حولي وإنما كان في داخلي، أتسأل أكثر من ألف مرة لم هذا السكون يبدو كموت حقيقي، أو كأنني أعاقب لعدم اهتمامي لمشاعر الاخرين، أدفع الثمن أضعافا مضاعفة، ليست لدي مشكلة أو ربما حتى أنني لم أعد أشعر بما كنت أشعر به من قبل، وفي داخلي أحاول تفسير ماهو شعور البشر بنفسها، أن تكون شخصا عميقا في نفسك، هذا يأتيني على شكل تعب، أسأل نفسي ثانية ماهو الممتع في هذا، وجه بلا ملامح، جسد بلا

دفئ، كيف تتخيل أن يكون؟ عندما تتحدث بمنطقية دون مراعات لشعور الآخرين فيجيبون عليك أنت وحش! وحش بشري تجسد على هيئة تصرفات بشرية ضعيفة ومعنويات محدودة، أشعر بالجنون وفقدان طعم الحياة، لاشيء جديد كل شيء يتكرر كأن الزمن بالنسبة لي متوقف منذ أكثر من خمس سنوات قد مرت دون إدراك ماذا أفعل أو ما يجب علي فعله، أو كمثال أقرب كأنني أبحر وسط بحر مفتوح بدون بوصلة، هذا مثال تجسيدي لحالتي هذه، لا أدري إن كنت أكتب شيئا ينفعك أو أنني أضيع وقتك في قراءة هذا الكتاب كأنك من محب الكتب ولا تستطيع تخطي هذا الكتاب دون أن تكمله، أو لعلني أهلوس فقط...

وإن كنا نتشابه في شيء، فأنا ممتن لك لأنك تقرأ كلماتي البائسة، كل ثلاثة أشهر أزور الطبيب نفسي، في كل مرة أخبره بما أشعر يخبرني بمرض مختلف عن السابق حتى تهت هناك، وفي زيارتي الأخيرة

أخبرته بقولي الأخير...{صدقني ياذكتور التحدث لم يعد يساعدني على التحس، وأنا ممتن لك لأنك تحاول مساعدتي كل مرة، هذه الجلسة الاخيرة لنا قد لا نلتقي مجددا... شكرا لك على كل شيء قد فعلته من أجلي} هذا العالم سيء جدا أو لعلني ألقي اللوم على العالم رغم أن ليس له ذنب في شيء، لكن المذنبون هم البشر وحدهم، هم من يزيفون حقيقتك بأقوال مسمومة، هذه النبرة المحزنة التي هي خالية من التحسر أو الندم تسعدها نفسي التي لاتتحرك، هذا الضياع الكبير بعد سنوات طويلة وشاقة لم أحصل على شيء سوى شهادات مليئة بالحقارة والغبار... الموضوعة داخل خزانتي الرثة، هذه الأشياء لاتجدها في مكان ما سوى في العالم الثالث أو بمقصود أفضل في الوطن العربي وحده، يظل الشاب يشقى كل شبابه ويصل لمرحلة من الزمن فيضيع وسط الطريق فلا يدري ماذا يفعل... هل سيكمل دراسته أو يركز على حلمه أو يعتني بوالديه أو يتزوج تحقيقا لرغبة ولي الأمر، وهنا بحد ذاته

مشكلة كبرى وكل هذا سببه الحقراء من الناس جميعا دون تمييز لا أقصد بقولي أنه ليس هناك أشخاص طيبون ولكن كثرة الخبث تهزم البقعة النظيفة، ولنستمر في المشي قليلا فنصادف الشياطين البشرية لن نعلم أي قناع يرتدون اليوم على عادتهم فهم مريضون بالوسواس فرضت عليهم أنفسهم بالتغيير كل يوم لكن ليس هذا التغيير الذي أتحدث عنه، عافان الله منهم جميعا، لقد قتلت داخل نفسي ألوفا مؤلفة من البشر حتى من رائحة جثثهم العفنة أصبحت تخرج من جسدي، وينادي داخلي ويصيح بصوت مرعب هل أنت على قيد الحياة، فلا يأتيه الرد فيبدأ بالضحك، اتحدث عن نفسي فقط نفسي الغريبة المختلفة الميتة التي تشعر بلا شيء، ثم أسأل هل الحياة ممتعة؟ فيتعجبون من سؤالك ويبدؤون بفلسفتهم كعادتهم وترغم على أن تستمع فقط دون أن تجادل وتقول قولك صحيح ياصاح وتذهب لأن هذه الامور تأتيك بالإزعاج، ودائما ماقلت أنا لا أحب من يهتم بي لأن باهتمامه يزعجني

فقط، فأنا كافي لنفسي بأن أهتم بها وأفيها حقا، لا يتوقفون ويبدؤون بالإفصاح عن مشاعرهم اتجاهك وإخبارك أنك شخص مهم لحياتهم، ويختمون قولهم بأنك لم تكن شخصا أهلا لذلك، أليست هذه تفاهة؟ لكنني منهم وهذه هي الحقيقة بنفسها، حقيقتي أنني إنسان كباقي الناس...

لا أعلم إن كانت هذه الأشياء التي أفكر بها وأفعلها جيدة أوالعكس، لأنني دائما ما أحاول فعل الأشياء التي تريحني ولا تجعلني أفقد طاقتي.

كلنا نحمل أثقالا فوق كهولنا ، بأشكال مختلفة ولا ترى بالعين المجردة، وإنما تحاول إحساسها لتميز ثقلها عن غيرها، فإن شعرت بتفاهة من حمل الآخرين قد يكون حملك تافه مثلهم أو قد يكون حملا مميزا يميزك عنهم، وهنا أنت تقيس نفسك فقط، لا دخل لك في أثقالهم، فإن شعرت بالغربة أو الوحدانية كأنك الشخص الوحيد من يحمل هذا الشعور المرير

فأنت فعلا تخطيت مرحلة البشرية في ما يتعلق بالأحاسيس والصياح الفارغ، وإن طال صمتك لسنوات عدة فهذا دليل على أن الأشياء المحيطة بك لن تستطيع سماع مافي داخلك، وحدك أنت من يستمع لذلك الضجيج المتردد داخلك، فإن الأحاسيس مرتبطة بالشخص وحده، هو بنفسه من يستطيع الشعور بما يشعر به، حتى وإن خاطبك أحدهم بحجة التخفيف عنك، ويردد بقوله ويقول: أنا أفهم مافي داخلك، فالفهم بعيد كل البعد عن الشعور، بخلاصة بسيطة أنت بنفسك من يجب عليك أن تحارب في معارك عديدة، قد تهزم في بعضها لكنك قد تجد حلا لذلك، لكن حالتي منعدمة عن هذه الأشياء فأنا لم تعد لدي طاقة لأحارب ثانية وأتفاءل بأمل لعله يخرجني من مأزقي هذا، دعها لله ...

اليوم يوم الأحد الساعة الخامسة فجرا، البرد قارس الهدوء يحوي جدران غرفتي، بعد محاولات عديدة للنوم باءت بالفشل، ها أنا ذا أكتب بقلمي وصدقني

هذا حقيقي أنني أكتب في هذا الوقت، أخاطب نفسي لعلني أحلق في الفضاء الشاسع وأصل إلى ذلك البعد الذي أتشوق للوصول إليه، أريده بقوة أسعى إليه كل وقت، الغلام الغريق وسط بحر أسود يحتاج إلى سماع صوت أحدهم يناديه بإسمه، وليس إسمه المزيف، كلما تمر الدقائق يصبح أعمق وأعمق داخل مشاعره المخفية، يخشى على نفسه أن يظل على هذا الحال ولا ينقذه أحد، فينظر إلى يمينه فما يرى إلا السواد، وحين يغمض عينيه يرى نور بعيد عنه يتوهج، رغم حجمه الصغير إلا وأنه يأبى أن يفتح عينيه خشية من الظلام الموجود داخله، قال أدركت حقيقتي أنني في حالة سبات أبدي كما يحدث مع مصاصي الدماء، إلا وأنني بشري سأسميها حالة سكون للمشاعر المدفونة داخلي، قد يأتي من ينبشها بفأس صدئ، فيقول وجدت كنزا مدفونا في أعماق الأرض المبللة، قد يكون الفاعل غير مرغوب به لفعل ذلك، إلا وأنه لايستطيع التحدث ويخبره بأن يرحل عن هذا المكان، المكان سيء هنا، أنت على

وشك إيقاظ وحش هائج مختوم، ألا تخشى على قومك أن يفترسهم، جائع بشدة ذو قامة متوسطة، شعره مجعد، نظرة عيونه الميتة لم تتغير رغم مرور عدة عقود عليها، لم يعد شيئا يثير اهتمامه يسأل كل حين هل ماتفعلونه ممتع، لايفهمون سؤاله فيوضح، هل التواصل والحزن والضحك والأجسام التي تترامى على بعضها ممتعة؟ أشعر بالقرف من جثثكم، مازلت أذكر حين كان الأمر طبيعيا، بهجة... عيون واثقة، حيوية ونشاط، كل مرة نكتة مضحكة ليضحك الجميع، حتى صادفها... من هي؟ مازالت صورتها في ذهني يبدو لي الأمر كأنه ليلة أمس، يوم جاءت تركض ناحيتي وتقول أنت ما اسمك؟ أجبت باسمي بالمزيف، قالت أتشعر بالملل؟ قلت قليلا، قالت أتحتاج المساعدة؟ قلت هل عندك سبيل إليها؟ أقنعتني بردها، وذهب طيفي معها، قضى وقت ممتع معها، وسألته كيف مر يومك؟ قال جميل ومر بسرعة أكثر من المعتاد، لأول مرة أشعر بأن الزمن قد تحرك، لقد كان متوقف منذ سنوات، أبهجني الأمر

وقلت أخيرا وجدت أملا لأتشبث به، لكن بعدها انقلب الأمر على صاحبه، وكذب نظريته واتبع القوم، حتى قالت أتدري شيء، أنا أستطيع أن أراك، تعجبت من قولها (هي) لا أقصد أنني لا أستطيع أن أبصر، وإنما أنا أستطيع أن أرى صورتك المخفية، أنت وحش؟ أليس كذلك... مرت لحظات وأنا أرى بدون أن أدافع عن نفسي، ونطق الفراغ حينها... أأنت غبي أم ماذا؟ ألا تدري حقيقتك ياهذا، وأنا ساكن أحاول إقناع الفراغ... للحظة لنبسط الأمر قليلا، أيتها الأنثى متى كان للوحوش مشاعر؟ قالت أتملك مشاعر؟ قلت نعم، همس الفراغ ثانية وقال كفاك نفاقا قل الحقيقة فقط، أخبرها أن الوحوش من يستطيعون رؤية أنفسهم وليس البشر، أجبت بما أخبرني به، وقالت أنا أعلم نفسي جيدا وبمعرفة نفسي استطعت الوصول إليك، لست أنت من كان يحتاج المساعدة بل أنا، أتعرف لماذا؟ ... لأنني علمت أنك وحش مميز ومختلف وفوق هذا أنت ملك حتى وإن لم تفهم قصدي الآن ستدركه في الأيام

القادمة، وانتهت مهزلة التغيير للأفضل وكانت نهاية استغلالية من طرف بشرية غبية، وكرهت أن أسمع كلمات مثل مساعدة الغير، ونشر المحبة والسرور، الزمن عاد إلى ما كان عليه في الأول، رغم أن هذا واحد من الأسباب لجعل الشخص في حالة سكون....

السكون المثالي يأتي ليلا، يهيئ للمفعول به أنه سيستيقظ في مكانه والعنصار الموجودة لن تتغير، هذا مجرد وهم يتوهم المقصود به أن الأمر هادئ والزمن متوقف، يجب أن يرصد حركة مشاعره الساكنة، ليحقق السلطة الكاملة على ذاته، أنه شخص شديد التركيز، يظن في نفسه أنه لايتحرك فقط متوقف في مكانه الأول، وأن العالم حوله مجرد خيال والناس الموجودين معه إلا شخصيات لإكمال حياته، هو يطبق على نفسه نظرية أنه الحقيقي في عالم الخيال، بحذ ذاته هذه مشكلة كبيرة أحاول إيجاد علاج لها، كما أن القدرة لتفادي هذا الوضع لم أجد حلا يحل حالها، كما أنني شعرت بشيء غريب من نفسي، كلما أدركت الأمر... حقيقة أنني شخص

بئيس ووحيد، ولا أحد يقترب منه، أشعر بوجود شخص يراقبني ويبسط أمور الحياة، أظنك وصلت للشخص المنشود، رغم أن رسائلي كثيرة وسط هذه الأحرف المتلاشية إلا وأني أعتقد أن عدد من يستطيعون فهمها نادرون، أو أن هناك من سيعتقد أن هذا الوضع مجرد شكاوي وطلب الشفقة، أنا لا أشكوا بربي إلى الناس، هذا ردي على كل من يظن بي سوء.

أنا أتلاشى شيئا فشيئا، مشاعري أصبحت منعدمة، هنا حيث يقيم الوحش داخلي، ينهب ويسرق، يعذب وينحر، المداومة على الأفعال الغير الإعتيادية تجعل الفعل هين وعادي بالنسبة للفاعل، يحتاج إلى هدنة مع نفسه، أو يحتاج شيء أكبر بكثير من هذه الأشياء، لا يملك القناعة الذاتية، امرؤ فاض فؤاذه، وظل طوال الأحوال مجرد أرض قاحلة، لا تزرع ولا ينبث فيها عشب، لا يشعر بالبث، اشتاق إلى أيامي الخوالي، حين كان كئيبا، يذرف الذموع، محبط

بأفعال الغير، الآن وفي سنته هذه أصبح الوضع بالنسبة له مختلف، لدرجة ليس هناك ردات فعل، ليس هناك غضب، كل مايهمه أن ينهي عمله دون إضافة شيء على المطلوب منه وشرب قهوته المسائية في الفيافي، يلامس الريح جلده، يحلل كل الكلمات التافه، يقول في ذهنه، هل أنا إنسان آلي، أم إنسان تطور بسبب الأفعال والأيام، أسئلة جيدة، لكن ليس لها جواب، لنجعلك أيها البطل أقصد الوحش في القمة، ومللت الوضع هناك، ونزلت إلى الأسفل وادعيت بالعجز الفردي، كيف سيكون الوضع في عالم الوحوش، ستجد الكل يتباهى بقوته أمامك لسبب ضعفك، الكل سيحاول فرض سيطرته عليك، وبمرور وهلة من الزمن ستسحق كالحشرة، هذا العالم فرضيته أن تكون قويا فقط، ليس هناك مكان للضعفاء، وهناك من قال الضعفاء لا يختارون طريقة موتهم، معه حق، حتى وإن هاجرت إلى مكان آخر ستجد نفس النظام، الأمر قد قضي ليس هناك مجال

للعودة، فقط تحمل إلى أن يموت خيالك، وتقضي بنفسك إلى عالم أحن بكثير من هذا.

{توضيح لحالة سكون، ليس الأمر وكأنها تتعلق بمرض نفسي مزمن، وإنما الكاتب أراد وصف أصحاب من لا يشعرون بشيء بهذا الوصف، لأن الأشياء المتعلقة بالسكون، تطابقت مع هاؤلاء الأشخاص...}

(النظام الساكن هو الذي لا تتغير فيها أماكن عناصره بمرور الوقت، ولا يعني هذا أنه لا يتحرك، فيمكن أن يكون النظام ساكن إذا كانت جميع عناصره تتحرك بنفس السرعة الثابتة المنتظمة.

وأول من وصف هذا المفهوم هو «جاليليو جاليلي» عام 1632، حيث قام بتخيل سفينة تتحرك بسرعة منتظمة على سطح البحر لكن دون تعرضها

للأمواج. وقال أن أي بحار في جوف السفينة لن يشعر بحركة السفينة ولن يستطيع تحديد إذا كانت السفينة متحركة أم ثابتة. ولكي يدرك البحار حركة السفينة يجب أن يصعد للسطح ليرصد بنفسه الحركة المنتظمة للسفينة نسبة لما حولها.

أي أن الحركة أساسا هي تغير المكان نسبيا بين جسم وآخر. وليس هناك حالة سكون مطلق، أو جسم ساكن بشكل مطلق يمكن قياس الحركة عليه. وهو ما أكده أينشتاين في النظرية النسبية الخاصة ومن بعدها النسبية العامة، وأصبح هذا المفهوم من الثوابت الفيزيائية.)

إن هذا العصر مختلف، لا يهم كم أنت طيب أو ظريف، شخص جيد أو تحب الخير للغير، هنا في عالمي هذا كل مايهم، مظهرك، مهاراتك، ولن يشفق عليك أحد أبدا، عليك أن تكون قذرا ومنحطا، ولا تهتم لشيء، عليك ألا ترحم، وكل من أتاك راغبا بك

عليك إحسان إستغلاله كما يركز عليك بدافع الوصول إلى هذفه، فأنت لن تفعل شيء مختلف أنت ستفعل مثلهم، كم تطلعت إليهم بدافع القدوة الحسنة، فتم طعني من الخلف، وبدوت في حالة بؤس شديد، فما زادهم بؤسي إلا نشوة فوق ابتسامة وحشية، مزقت كل مافي داخلي، وصرت دلوا فارغا، وقلت لا يجب أن أكون مثلهم، واستمررت في غبائي إلى أن وصلت إلى نهاية النفق، فماذا كان ينتظرني؟ هاوية متعفنة، أحسنت بأنسي لها وعلمتني أشياء لم أكن لأتعلمهم في الخارج، هذا عالمي المتعفن، متعمر بالوحوش ذات الأنياب السامة، فأقسمت على نفسي إن كانو وحوشا فأنا سأكون ملك الوحوش، وفهمت قصد الأنثى لندائي بالملك، وفهمت مقاصد البشر واحدا واحدا، فما اختلفوا في شيء، إلا فازدياد الطمع أو نسبة الجشع لهم، لاشيء يميزهم غير مقاصدهم تختلف في سبيل الإستغلالية، وإن كنت طيبا تهتم للآخرين وتحبهم أن يصلوا إلى أهدافهم، كلما كنت لقمة سائغة، هذا العالم خاطئ بشدة، قد

لايرونك رفيقا كما تراهم، قد لايهتمون لحبك وعطفك، كل مافي الأمر عليك أن تكون ذكيا كفاية لتقلب السحر على الساحر، وتراهم أداة قبل أن تراهم رفاقا، فما أحوجني في زماني هذا أنني لا أجد خلا يعينني على مقاصد الحياة، ويحذرني من شرور الكائدين، ويقول بلطف إياك أن تزل قدمك عن ثبوتها أخي، ولا أقصد الجميع بقولي رغم كل الخبثاء في هذا النحو، إلا وهناك أفراد نادرون يستحقون العناية والمساعدة والتشجيع، لأنهم فعلا يستحقون ذلك...

أنظر إلى ذاك الساكن هناك، يبدو كميت يمشي في زقاق هذا الكوكب الخيالي، أنظر إلى ملابسه الرثة، دعنا نحتقره بشدة، دعنا نساعده فاكتساب وحش وترويضه، نحن نحب له الإحسان فقط... لم أكن في عالم البشر حينها، بل كنت في غابة بدون قوانين ولا حام يحميك سوى أن تكون قويا فتسحق الضعيف أو عكس ذلك، لابد من أحد أن يكون مذنبا على ضعفه في هذا البعد، الشرارة الذاتية لاتسمح

للإنسان بالسيطرة على نفسه أثناء رغبته الشهوانية، هو فقط سينصاع لها وسيفترس الضعيف، شكرا لهذا العالم الذي حول دفئي إلى برودة واهتمامي إلى عدم مبلاة، شكرا للجميع في مساعدتي على الوصول إلى عرش الوحوش، سيختلف الكل وسينظرون إليك بنظرة خوف عميقة، وترى الرؤوس تطأطئ من حولك، خشية ألا تقصد أحدهم فتزهق روحه، سيتبعونك ويبجلونك ويزيفون حقيقتك الوحشية إلى سلم وآمان وحب وحنان، هذا حال مايحدث داخل الأجسام الممتلئة بلا شيء...

يسألني ضميري، في ساعة صمت وهدوء، مابك يافتى؟ أ أنت قلق أو متوتر، أو فاقد لثقة نفسك، هل تأقلمت؟ هل ستواصل أو ستبحث عن شيء جديد عليك لتشغل به نفسك؟ حتى وإن طال غيابك عن نفسك، ستعود لها يوما ما، لأنك تنتمي إليها، حتى وإن أغضبك هذا العالم فهم ما يفترون

عليك إلا خشية من ظهور حقيقتك لهم، ستخلق في الأسفل حيث لا وجود للنوجوم هناك، ستقطف الزهور الذابلة، ستستلقي على الأرض القاحلة، ستسجن من طرف أفكارك، ولن يعلم أحد بما تمر به وسط زنزانتك سوى أنت، أنت بنفسك من يستطيع مساعدتك، اجمع خطايا السنين واستمر في البحث عمن يبث النور داخل عتمتك، ستجده، قريبا سيأتي مخلصك فقط تفاءل....

أعتقد أننا جميعا نملك بصرا يرى إلى حده، إلا من قدر الله له ألا يرى خُبث هذا العالم، لكن هناك اختلاف بين شخص ساكن وشخص طبيعي، فماذا لو أزحنا الغطاء الذي سيغير تلك النظرة العادية، رغم أن

هذه المعادلة يستحيل وقوعها... بالنسبة لساكن يظل يتأمل في لا شيء، يفكر في أشياء لا يستطيع المرأ العادي أن يفكر فيها، العادي يفكر وينوي على قدر نيته في تحقيقها، هنا الفاصل بيننا نحن وأنتم، نحن لا نفكر ونرجو من تلك الفكرة أن تحدث على الواقع، أتعرف لما لا؟ لأننا نستطيع أن نرى داخلنا، تتجسد الأفكار على هيئة أماكن وأحيانا على أشخاص، وكل مرة كيف تتكون، وهنا مصيبة المعني بالأمر، فماذا لو يوجد داخل عقله سوى الأفكار السلبية، هل سيتهيأ له على أنه يغرق في بحر لونه أسود، أو سيصاب بالشلل وسط عاصفة ثلجية، أو يجد نفسه داخل هاوية مظلمة، أجل أجل، داخل هاوية مظلمة وهذا أبسط شيء، فماذا سيفعل تلك

اليلية؟ سيحاول أن يتسلقها حتى يصل إلى نور الشمس؟ ماذا لو لم يجده ؟ ماذا لو سقط بسبب اثر تسلقه؟ هذا مايعجزه عن تسلقها، لذلك الجواب واضح سيجلس هناك حتى يتعفن... هذه هي حقيقة الساكنين...

إذا مسك بث اليوم فقد مس القوم الذين مروا من قبلك، هذه هي الرسالة الأخيرة التي قرأتها من أنا الباطني قبل دخولي في عالم غير عالمي الموجود، كان الأمر عادي مجرد مشاكل نفسية وطبيعية يمر بها كل إنسان طبيعي على هذه الأرض، الحال جيد وطبيعي كل شيء على مايرام، قلنا في أمر هذا الشخص سيتغير وتبدأ بداية مزهرة تفوح بعطر أشجار الكرز، مابي

أهتم لكل الأمور لم يجب علي أن أستمر بتصنع وتودد إلى أشياء لا أرغب بها، هذه مآلات الساكنين.

أي طريق يقود إلى هذا الخط الفاصل بين البشر والساكنين:

إن رأيت أن هذا شيء مميز وأردت الوصل إليه، فنصيحتي إليك ألا تحاول فعل ذلك، دعك على طبيعتك، على دفئك، فمن يشعر بالحقيقة سوى الشخص الفاقد لها، أتخالني أنني اخترت شيئا من هذا، فما وصلت إلى هنا عبر ممرات فارغة، كنت كلما صادفت شيء مريع أقول ستمر وسأتأقلم، هكذا طفقت، حتى يومها أصبحت أقول كل شيء عادي لا شيء مميز، كل شيء يبدو لي على قيد الحياة

بينما الميت هو أنا، أنا الساكن الفارغ المنبوذ، من قبل عندما كان يصادفني أحدهم ويقول هل نظرت في المرآت؟ ما لخطب؟ لم وجهك أصبح هكذا، لم أصبحت مهملا لنفسك؟ أتفادى الرد وأقول ماخطب الناس لاتكف عن التقصيص! لا داعي لكل هذا فأنا نادم على كل شيء إلا الإسلام.

_إن البشر في نظري مخلوقات مميزة رغم كثرة عيوبهم إلا أنهم يجدون حلا لكل الأشياء المحيطة بهم، صدقني بكثرة تناقضي فأنا أنبذ الجنس البشري عن بكرة أبيه، حبذا لو ننقرض وينتهي كل هذا الشر.

أخرج يابني من غرفتك وتمشى قليلا دع نور الشمس يشرق على خذيك، هذا ماتقوله لي والدتي كل صباح عندما تقف

على باب غرفتي، صدقيني ياولدتي إن طفلك هذا وما أصابه كان كله من دافع البشر، هم أولائك الأوغاد الماكرين، بصورة مسبوغة على بشرتهم العفنة، نحن نحب لك الخير نحن نريد لك كذا وكذا... ألم ينتهي كل هذا بنهاية المطاف لو وضعنا جميعا داخل متاهة مليئة بالوحوش لرأيتنا نضحي بكل عزيز على أنفسنا من أجل أن نظل على قيد الحياة، لا يهم كم كنت طيبا أو شريرا فأنت ستختار نفسك قبل كل شيء، ستختار الامل السعادة الغنى السلطة، ولن يهمك أمر اي أحد حتى وإن بلغت مابلغت وشعرت بقدر قيمتك ارتفعت عنهم لنظرت إلينا كأننا ماشية ليس وكأننا من النفس الفصيلة، هذا ما فعلت، فقط حذفت أي مشاعر قد

يستغلونها لضعفي، حتى إذا أصبحت لاشيء، ولم أبالي بهم نادوك بالوحش الذي لا يهمه إلا نفسه، مضحك هذا الأمر أليس هذا مايفعله الكل، إلا وأنه يزور الحقيقة بأنه إنسان جيد ومثالي، لم علينا أن نتكبد كل هذا العناء من أجل نقاش فارغ حول كيف تشعر بما أحدثك أو بما تحدثني لما يجب علي أن أبدي ردة فعلي على كل شيء، تبا أكره هذه الأشياء كرها جما، لا تقلقو هناك مكان جيد حيث سنجتمع، مكان دافئ حتى من حرارته قد لا نتحملها، عرفتم إسم المكان صحيح؟ الجحيم.

أكتب رسالتي الأخيرة، كأنني ورقة رثت وهشت وتفتت وتحولت إلى غبار يتطاير بين نسيم الهواء، ويلاطفني جوي الكئيب

بأحاديث فارغة، حتى من حوار تمحور بيني وبين صبي وأخبرني أنه قوي ويستطيع هزيمة أي عائق يواجهه في حياته، أخبرته كالآتي، مهما كنت قويا ستموت، مهما كنت ذو مقام وشأن ستموت، مهما كنت... ستكون نهاية واحدة وهي الموت، ألاَ وإن بعضهم من يقرر أن يضع حدا لحياته بنفسه، فما قولك الآن، انفعل وقال أنت الأسير وأنا الزائر، بيننا فرق أيها الساكن، إنني حر بينما أنت مسجون وسط هاوية عفنة، وماهي الحرية في نظرك؟ إن كنت أسيرا لأفكارك، هي من تسيطر على صاحبها وليس أنت، ألن تكون أسيرا بواجهة مزيفة تخاطبني على سلسلة الحرية، فإن وجدت فيَّ عبدا لذلك لما كنت أسيرا، بينما العبيد من يوهمون أنفسهم

بأنهم أحرار، فماهي تهمتي أيها الصبي؟
إنك فارغ لا تأبه بشيء، بارد، كخرذة مبرمجة
على روتين يومي، ماسمعته عنك كان
حقيقة، إلا وأنني أردت ألا أسمع لكلامهم،
ولكن وصفك بالوحش حقيقة لا مجال
لشك فيها، فلتتعفن أنت وأفكارك المحررة.

هذه الهدنة الذاتية تشكل قلق مزعج، لا نعلم إن كان
بعد الهدوء عاصفة، أو لاشيء سوى مشاكل
نفسية، ففي نفسي غصة حذفت كل ما يتعلق بالحزن
والكآبة، أسلك طريقي بعينين نائمتين، وهالة سوداء
لا تفارق جفوني، حتى من نظرتهم حولي تقلقهم،
كأنني متعطش للذماء أو شيء من هذا، فما أبديت
ردت فعل آتية من هذا الجسم المنحوس، ماذا تتوقع
من السكون؟ الطموحات والأحلام والأشياء التي
تجعل البشر أن يحاربوا من أجلها، هي كذلك بالنسبة
لي، جميلة ورقيقة، إلا وأني لا أملك شيئا من هذا،
بين الغروب الذهبي تبدأ حكاية جديدة، وبين صباح

بارد تنتهي الحكاية، وتستمر سلسلة الفراغ بدون نهاية، حتى من ممن سمعتهم يقولون أن في آخر النفق يوجد نور... ذلك النور هو ما أبحث عنه لأرسم لوحلة الحياة بألوان مزخرفة، فما فقهت شيئا في هذه الحياة كمعرفة الألم بنفسه، فلما توصلت لفهمه هجرني ككل شخص أحببته، حتى فقدت كل شيء ولم يتبقى إلا جثة متحركة، لا تبالي لا تحزن ولا تشعر، وعندما انقلبت الأدوار بيننا فما أردت أن أسخر من أفعالهم، هي تبدو لي تافهة ومملة لا تحسسني بالحياة، إذن... ما الحل؟ ليس هناك حلول أو أوأمل، ماتبقى سوى انتظار نهاية بائسة ملائمة لشخص مثلي.

حتى بتناثري حول كتابة أي شعور أو أي شيء يخطر في ذهني إلا وأنني لم أصف السكون بكل صفاته، يمكنك القول على مايتعلق به الساكن أنه شخص مهمل لنفسه، ليس لديه شيء محدد من

الطموحات والأحلام، ولا يرغب بالتشبث بأي شعور يجمعه بالبشر كيف مكان وضع الشخص الملائم له، إلا وأنه قليل الكلام، كثير التفكير، يشعر بالغربة وسط الناس، وفي وطنه الأم بذاته يشعر كأنه لاينتمي إلى أي مكان، ليس له منزل يعود له، قد تنزعج أن هناك بعض البشر مثله، لا يقدمون شيئا ولايسعون للإجتهاد، وتجده عالة لا أكثر، لكن الأمر ليس كما تعتقد، فقط أعطى أكثر مما أخذ، فحصد عبر الأحوال من طفل إلى شاب ملائم إلى لاشيء، فما كان جزاؤه من كل هذا؟ السكون بنفسه ظلم في حقه، قد يلعن البشر ويكرههم، غير أنه متمسك وينتظر يدا دافئة تخرجه من ظلمته، رغم برودته الشديدة ستجده يحترق شوقا إلى حنين

الماضي، فتقول كيف سنساعده؟ سأخبرك أن تظل بعيدا عنه ولا تعره أي إهتمام، لأن الإهتمام يسبب له إزعاج كبير، قد يتخطاك دوما بسبب كثرة أسئلتك قد يكون منشغل بنفسه... يحاول بجد أن يخرج من هذا الوضع المزري، فاستمر بالإبتعاد حتى تحدث فجوة بينكم، ستجده يحبك بسبب بعدك عنه، رغم أن مشاعره غير موجودة قد نسمي الحب بصفة التقدير لك والإحترام وكفى، فما أردت الصعود إلى السماء أو النزول إلى قعر الأرض، أتمنى من أي شخص يواجه مشكلة نفسية في نفسه ألا يترك الأمر على حاله ويقول لا بأس ستمر، ويستمر بترك نفسه شيئا فشيئا حتى يصبح لاشيء مرتبط بكونه بشري وينسى نفسه أنه إنسان، ركز على

روحك جيدا لا تدعها تنكسر، واجمع شتاتك، وتصرف بحكمة بالغة، فقد تجد علاجا قبل إصابتك بالمرض، فكما يقولون الوقاية خير من العلاج....

******

متعب بشدة، هائم في التيه ولا دليل لي، الغيوم تحجب نجم الشمال، والشمس لا تُشرق في سمائي، امشي وحيدًا بلا هدى... وأتحاشى كل من يودّ أن يرافقني حتى لا يضلّ طريقه معي ويعيقني عن بلوغ وجهتي التي لا أعرفها.

****

وإنني مستنبط لذاتي أكثر من أي شيء قد أعرفه، يوم سمعت {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} قادتني غريزتي إلى التفكر في من أنا، وابن من، حتى وصلت إلى معرفة القدير الحليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

****

فاعف واصفح عني، فما كرهت الحياة إلا بكثرة ذنوبي، وما أنا إلا عبد ضعيف... لا

حول لي ولا قوة إلا بمشيئتك، أنت العليم المقتدر.

****

{ واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكل شيء عليم }